

## مسالك التربية و التكوين

ISSN (Print) : 2550-5165

ISSN (online): 2737-8012

<https://revues.imist.ma/index.php/massalek>



### الدرس البلاغي بالتعليم الثانوي التأهيلي وإشكالات النقل الـديداكتيكي

## The rhetorical lesson in high school and the problems of didactic transfer

لخلافه كريم

الكلية متعددة التخصصات بالرشيدية، جامعة مولاي إسماعيل مكناس، المغرب.

[Khalifa1175@yahoo.com](mailto:Khalifa1175@yahoo.com)

الاستلام : ونـيو 2020، القبول 5 أكتوبر 2020م

DOI: <https://doi.org/10.48403/IMIST.PRSM/massalek-v3i2.22511>

ملخص :

تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقارنة قضية النقل الـديداكتيكي لدرس البلاغة في التعليم الثانوي التأهيلي، وما تطرحه المعارف البلاغية من إشكالات وصعوبات في رحلتها من مصادر المعرفة العالمية إلى البرامج الدراسية ثم إلى المتعلم، وما تفرضه ملائمة هذه المعارف من مبادئ ومقتضيات.

وقد وضحت في البداية مفهوم النقل الـديداكتيكي وأنواعه ومراحله، ثم توقفت عند طبيعة الدروس البلاغية المقررة بالتعليم التأهيلي والمعارف المرتبطة بها والثغرات المسجلة بشأنها، وأخيرا ختمت البحث بتقديم اقتراحات وحلول لمعالجة تلك الثغرات. الكلمات المفاتيح: النقل الـديداكتيكي - الدرس البلاغي - المعرفة العالمية - المعرفة المتعلمة - الملائمة الـديداكتيكية.

### Abstract

*This paper aims at approaching the issue of the didactic transfer of the rhetoric's lesson in high school education with special focus on the problems it presents, and the solutions it imposes. First, I clarified the concept of didactic transfer, its types and stages. Then, I stopped at the nature of the rhetorical lessons prescribed in high school and the associated knowledge and gaps. I concluded the piece of research with suggestions and solutions to address these gaps.*

**Key words:** *the didactic transfer, the rhetorical lesson, the knowledgeable knowledge, the learned knowledge, the didactic suitability*

**مقدمة:**

إن الارتقاء بالنقل الديدانكتيكي للمعارف المرتبطة باللغة العربية بمختلف الأسلاك التعليمية، ليعد من أهم مداخل إصلاح التعليم في المدرسة المغربية. فالمعارف المرتبطة باللغة العربية في التعليم الثانوي التأهيلي، على سبيل المثال، متنوعة ومتشعبة، بين المعارف الأدبية والنقدية واللغوية والثقافية وغيرها. وهذا ما يطرح ضرورة الاهتمام بالنقل الديدانكتيكي لهذه المعارف في كل مكون من مكونات اللغة العربية، لتكون ملائمة ومناسبة للمتعلم، سليمة من مخاطر النقل، مساهمة في تحقيق الكفايات المستهدفة في هذه المرحلة.

ويعد مكون اللغة أحد مكونات مادة اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي الأساسية، وأكثرها إثارة للاهتمام فيما يتعلق بالنقل الديدانكتيكي للمعرفة. فالمعرفة اللغوية تنسم في هذا السلك بالغمى والتنوع. فهناك المعرفة البلاغية، والمعرفة العروضية، والمعرفة النحوية والصرفية، والمعرفة التركيبية، وغيرها من المعارف. وإذا كانت برامج الشعبة العلمية الخاصة باللغة العربية قد احتفظت بدروس مهمة من دروس النحو والصرف التي ألفتها المتعلم في المرحلة الإعدادية، فإن الأمر يختلف تماما في شعبة الآداب والعلوم الإنسانية، إذ تم الانتقال مباشرة إلى دروس جديدة تنتوع بين علوم البلاغة وعلم العروض وغيرها.

ومن المعلوم أن المعرفة اللغوية تتميز في مصادرها الأصلية بالتجريد والتعقيد والتشعب، وهذا ما يطرح إشكال النقل الديدانكتيكي. لذلك يسعى هذا البحث إلى مقارنة قضية النقل الديدانكتيكي لدرس البلاغة في منهاج اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي محاولا الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ✓ كيف تم النقل الديدانكتيكي لدرس البلاغة في الكتاب المدرسي المعتمد بالتعليم الثانوي التأهيلي؟
- ✓ وإلى أي حد نجح هذا النقل في تحويل المعرفة البلاغية من معرفة عالمة إلى معرفة قابلة للتعلم؟
- ✓ وأي دور لمدرس اللغة العربية في هذا النقل الديدانكتيكي للمعرفة؟ وكيف يمكنه الانطلاق من تصورات المتعلمين وتمثلاتهم لبناء معرفة بلاغية ملائمة ومناسبة، معرفة تجعل المتعلم مشاركا في بناء المعارف المستهدفة ومستثمرا لها في وضعيات جديدة؟

**أهمية البحث**

إن البحث في النقل الديدانكتيكي للمعارف اللغوية والبلاغية بالتعليم الثانوي التأهيلي، ليعد من البحوث التي تكتسي أولوية، لأنّره البالغ في تطوير البرامج الدراسية والممارسات الصفية المتعلقة بتدريس مكونات اللغة العربية. فمن الصعوبات التي سجلها الباحثون في منهاج اللغة العربية بهذا السلك وفي الممارسات الصفية، عدم ملائمة المعارف المدرسة لمدارك المتعلمين، والخلل المصاحب لنقل تلك المعارف.

ذلك أن المعرفة في مراحل عبورها لتصل إلى المتعلم تخضع لعدة تعديلات وتصرفات قد تضر بها. ولعل من أخطر ما تتعرض له المعرفة الأصلية أثناء النقل التجزيء والتفكيك الناتجين عن عدم مراعاة النسقية والوحدة والتكامل بين المعارف.

لذلك فإن ملائمة النقل الديدانكتيكي للمعارف اللغوية والبلاغية بمنهاج اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي أصبح أمرا ملحا وضروريا لأي إصلاح وتطوير وتجديد للمناهج والممارسات الصفية.

## أهداف البحث

- (1) الإسهام في البحوث التي تسعى إلى تطوير منهاج اللغة العربية في مختلف الأسلاك التعليمية؛
  - (2) الإسهام في تكوين المدرسين في ديداكتيك مكونات اللغة العربية؛
  - (3) الوقوف عند سبل تطوير الدرس اللغوي و البلاغي بالتعليم التأهيلي؛
  - (4) تقديم اقتراحات وحلول لتجاوز ثغرات تدريس علوم البلاغة العربية بالثانوي التأهيلي؛
  - (5) مساعدة المدرس في التخطيط لنقل ديداكتيكي ناجح لدرس البلاغة؛
- قبل الخوض في موضوع المداخلة الرئيس، يبدو لي أنه من الضروري الوقوف عند مفهوم النقل الديداكتيكي ومراحله وما يطرحه من إشكالات.

## 1 - النقل الديداكتيكي: la transposition didactique

## 1 - 1 - مفهومه:

يقصد بالنقل الديداكتيكي تلك العملية التي يتم بها الانتقال "من مستوى معارف علمية دقيقة ينتجها المختصون إلى مستوى معرفة قابلة للتعليم والتعلم"<sup>1</sup>. وبعبارة أخرى هو نقل المعرفة من فضاءها العلمي الخالص إلى فضاء الممارسة التربوية لتتاسب خصوصيات المتعلمين النفسية وتستجيب لحاجياتهم. وذلك بتكييفها وفق الوضعيات التعليمية - التعلمية.

ويمثل النقل الديداكتيكي علاقة من العلاقات التي تشكل موضوع الأبحاث الديداكتيكية الحديثة، وهي:

- ❖ علاقة التعاقد الديداكتيكي، وهي العلاقة التي تجمع المدرس بالمتعلم.
- ❖ علاقة النقل الديداكتيكي، وهي العلاقة التي تجمع المدرس بالمادة.
- ❖ علاقة التمثلات، وهي العلاقة التي تجمع المتعلم بالمادة.

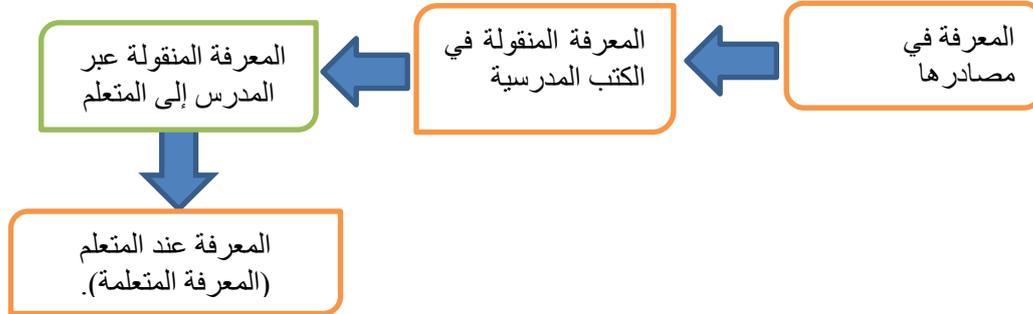
## 1 - 2 - من إشكالات النقل الديداكتيكي:

يطرح النقل الديداكتيكي للمعرفة عدة إشكالات ترتبط، في معظمها بحدود نقل هذه المعرفة من معرفة عالمة إلى معرفة متعلمة أو ممدّسة. فكيف يتم الانتقال من معرفة عالمة إلى معرفة ممدّسة؟ من معرفة خالصة تتسم بالتجريد والتعقيد والتحول المستمر، إلى معرفة متداولة داخل الفصل الدراسي وقابلة للتعليم؟ وكيف يمكن التخطيط لعبور المعرفة من مجال التخصص إلى مجال التعليم والتعلم؟ وبعبارة أخرى، كيف يتم تحويل المعرفة من شكلها الخام، إلى شكل يلائم المتعلمين، ويناسب مستواهم الإدراكي والنفسي ويستجيب لحاجياتهم؟ ثم إلى أي حد يمكن للنقل الديداكتيكي أن ينجح في عبور المعرفة إلى المتعلم بأمان ودون إلحاق الضرر بالمعرفة الأصلية؟ وماهي الأطراف المتدخلة في عمليات النقل الديداكتيكي؟ وما موقع كل من المدرس والمتعلم ضمن هذه الأطراف؟

<sup>1</sup> - معجم علوم التربية: مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، عبد اللطيف الفاربي، عبد العزيز الغضراف، محمد أيت موحا، عبد الكريم غريب ص 350، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى (1994).

## 1 - 3 - مراحل النقل الديدانكتيكي:

إن المعرفة الأصلية، أو المعرفة العالمية (أي المعرفة في المصادر العلمية) تقطع عدة مراحل قبل أن تصير معرفة ممدسة، كما يوضح الشكل الآتي:



فالنقل الديدانكتيكي يتم في البداية على مستوى البرامج الدراسية وهو من اختصاص الباحثين في الديدانكتيكي. ولذلك فإن قسما كبيرا من عمليات النقل الديدانكتيكي للمعرفة يتم في استقلال نسبي عن المدرس، وعن ما يحدث في الفصل من تفاعلات رغم استحضار واضعي المناهج والبرامج لذلك.

ثم يأتي بعد ذلك دور المدرس الذي سيقوم بالتخطيط للنقل الديدانكتيكي قصد بناء دروسه بناء يلائم المتعلمين، بعد أن خبر مستواهم وألمّ بتمثلاتهم، لأن "تصورات المتعلمين وتمثلاتهم تلعب دورا رئيسيا في التعلم المدرسي: فهي الرابطة الأساسية للبعد التفاعلي للتعلم".<sup>2</sup> ومن أجل ذلك يقوم المدرس بتكييف مضامين الكتاب المدرسي بما يلائم المستوى الإدراكي للمتعلمين.

وهكذا فالمدرس يلعب دور الوسيط بين المعرفة الأصلية والمعرفة المنقولة ديدانكتيكا عبر المناهج والبرامج الدراسية وبين المتعلمين، باعتبار علاقته المباشرة معهم. والحق أن "أهم عمليات النقل الديدانكتيكي تتحقق في سياق الفصل الدراسي، وفي تفاعل المدرس مع المادة وأنشطة بنائها مع متعلميه".<sup>3</sup> فالفصل الدراسي هو الذي يُوضعُ المعرفة المدرسية ويجعلها في وضعية قابلة للتعلم والاستعمال والتوظيف والاستثمار.

ثم إن تعامل المتعلم مع المادة المعرفية المدرسة واستخدامه لها في وضعيات وسياقات تعليمية جديدة هو ما سيجعل المادة المعرفية المتعلمة ممكنة التحقق. لذلك من الباحثين من يدعو إلى "دراسة استعمال المتعلم لمعارفه الجديدة، فيما وراء الوضعيات المدرسية التي سمحت لهم بالتعلم".<sup>4</sup>

غير أن المعرفة في مراحل عبورها لتصل إلى المتعلم تخضع لعدة تعديلات وتصرفات قد تضرر بها. ولعل من أخطر ما تتعرض له المعرفة الأصلية أثناء النقل:

<sup>2</sup> - التكوين الديدانكتيكي للمدرسين للمؤلفين: فليب جوناير وسيسيل فاندر بورخت، ترجمة أ. عبد الكريم غريب و د. عز الدين الخطابي: 355.

<sup>3</sup> - وزارة التربية الوطنية، الوحدة المركزية لتكوين الأطر، ديدانكتيك مادة اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي (الدرس القرآني)، يونيو 2009. ص 21

<sup>4</sup> - التكوين الديدانكتيكي للمدرسين ص 269.

التجزيء والتفكيك مما يجعلها تفقد نسقيتها وتكاملها. وهذا مما يعاب على المواد الدراسية. وهذا ما يفرض على المدرس أثناء النقل الديدائكتيكي مراعاة هذه النسقية والوحدة والتكامل، بربط الدرس بباقي الدروس وجعله ضمن نسقه ووحده.

#### 1 - 4 - المدرس وشروط النقل الديدائكتيكي السليم:

يعد المدرس أهم ناقل ديدائكتيكي للمعرفة، والمدرس لا يمارس عملية النقل هذه إلا بعد تخطيط محكم ينطلق من عملية تشخيصية لمكتسبات المتعلمين، ويستند إلى التوجيهات التربوية والأطر المرجعية التي تحدد له مواصفات المتعلم، والكفايات والقدرات المستهدفة. لذلك فالمدرس يبني خطته لنقل المعرفة على ضوء كل هذه المنطلقات وغيرها مما تفرضه سياقات التعلم ووضعيته.

ثم إن المدرس يبني المعرفة مع المتعلمين وبمشاركتهم، ولا يلقي المعرفة ولا يقدمها جاهزة، بل ينطلق من تمثلات المتعلمين ويستثمرها في بناء المعرفة المتعلمة. "لأن المادة المعرفية ليست بنيات جاهزة ومغلقة ومنتهية، وإنما هي في وضعية بناء وتشكيل وتكوين. إنها حصيلة نشاط تفاعلي تبادلي للذات المتعلمة دور مركزي في بنائها وتشكلها."<sup>5</sup>

وقد بين كل من جونايز وسيسيل فاندر بورخت أن الانطلاق من "التصورات هام بالنسبة للمدرس لاختيار الوضعيات التي يمكن للتلميذ من خلالها أن يقيم علاقة بين موضوع التعلم ومعارفه الخاصة."<sup>6</sup> لذلك فالمدرس ينبغي أن يراعي في عملية النقل الديدائكتيكي ما يلي:

- الإلمام بالكفايات والقدرات والأهداف المتوخاة من الدرس.
- استعمال لغة واصفة ملائمة للمتعلمين.
- اختيار منهجية واضحة ومناسبة للنقل الديدائكتيكي.
- الانطلاق من وضعيات تعليمية ملائمة.
- الاهتمام في التمهيد بالربط بين المعارف دون نسيان التعرف على التمثلات حول المعرفة الجديدة المراد بناؤها.
- اختيار الأنشطة التعليمية - التعليمية المناسبة لبناء المعرفة.
- التدرج في عرض المحتوى التعليمي على المتعلمين من الجزء إلى الكل ومن البسيط إلى المركب.
- انتقاء المعرفة وتبسيطها حسب مستوى المتعلمين.
- التأكد من استيعاب المتعلمين للمعرفة المنقولة بأنشطة تطبيقية في وضعيات جديدة.
- الاهتمام ببناء تركيب المعارف المتوصل إليها في الدرس بمشاركة المتعلمين، وعدم الاكتفاء بالتركيب المقدم في الكتاب المدرسي.
- الاهتمام بالتقويم الإجمالي والحرص على تنويع الأنشطة التقويمية قصد ترسيخ المعارف وتثبيتها.
- الاهتمام بامتدادات الدرس واستثماره في وضعيات جديدة قصد الربط والتوظيف والتثبيت والدعم.

<sup>5</sup> - وزارة التربية الوطنية، الوحدة المركزية لتكوين الأطر، ديدائكتيك مادة اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي (الدرس القرآني)، يونيو 2009، ص: 22

<sup>6</sup> - التكوين الديدائكتيكي للمدرسين ص 353. والباحثان يستعملان مفهوم "التصور" بدل "التمثل"، ويقصدون به مجموع المعارف السابقة للتلميذ حول موضوع التعلم.

## 2 - النقل الديدانكتيكي لدرس البلاغة في التعليم الثانوي التأهيلي

### 2-1 - منطلقات النقل الديدانكتيكي لمكونات اللغة العربية:

ينطلق النقل الديدانكتيكي لمكونات اللغة العربية من الأطر المرجعية الآتية:

- الميثاق الوطني للتربية والتكوين
- الكتاب الأبيض.
- التوجيهات التربوية 2007.

وقد ورد في التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، أن أجراً المنهاج التربوي للمرحلة الثانوية التأهيلية تستند على عدة مرتكزات، منها مراعاة خصوصيات متعلم هذه المرحلة، معرفياً وسيكولوجياً وثقافياً، وجعله قطب الرحى في العملية التعليمية - التعليمية.<sup>7</sup> لذلك تم التأكيد على ضرورة تنويع الطرق والوسائل والأنشطة التعليمية، ومراعاة اختلاف إيقاعات المتعلمين في اكتساب المعارف والمهارات عند بناء الوضعيات التعليمية - التعليمية، وعند اختيار المعينات الديدانكتيكية المناسبة.<sup>8</sup>

كما تم التنبيه في هذه التوجيهات إلى أن المنهاج التربوي هو، وحده، الإطار المرجعي الملزم وطنياً. أما مضامين الكتاب المدرسي وترتيب موادها والمقاربات البيداغوجية التي تقترحها، فلأستاذ حرية التصرف فيها بتكييفها وملاءمتها، إذا تطلب الأمر ذلك، مع مقتضيات منهاج المادة الدراسية، وفي إطار التعاقدات التنظيمية والتدبيرية المرتبطة بالتقويم، وتوحيد الفرص أمام المتعلم محلياً وجهياً ووطنياً.<sup>9</sup>

وبذلك يتضح أن الكتاب المدرسي - رغم أهميته في المنهاج التربوي - ليس هو المرجع الوحيد للمدرس في مسألة النقل الديدانكتيكي للمعارف، بل يمكنه الاجتهاد في ما يراه مناسباً للمتعلمين من معارف قابلة للتعلم حسب وضعيات التعلم وسياقاته.

وقد نصت التوجيهات التربوية على الكفايات المستهدفة من الدرس اللغوي كما يلي:

- ✓ توظيف المعارف والضوابط اللغوية في مختلف السياقات التواصلية.
- ✓ التمكن من رصيد في اللغة والبلاغة، يسعف المتعلم في فهم النصوص وتحليلها ويعمق ثقافته في المجالين معاً.
- ✓ استثمار المعارف اللغوية والبلاغية في وضعيتي التلقي والانتاج.

ولذلك فالمدرس عنده منطلقات وكفايات تسعفه في اختيار المعارف المناسبة للمتعلمين ونقلها نقلاً ديدانكتيكياً ملائماً، يحقق التفاعل ويساهم في بناء معارف مُتعلِّمة.

### 2-2 - الدرس البلاغي وإشكالات النقل الديدانكتيكي في الكتاب المدرسي:

لقد تم الانتقال في منهاج اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي لشعبة الآداب والعلوم الانسانية إلى دروس جديدة لم يسبق للمتعلم تلقئها، وفي مقدمتها دروس البلاغة العربية التي تحتل نسبة مهمة بين الدروس اللغوية

<sup>7</sup> - التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي (نونبر 2007) ص5

<sup>8</sup> - المرجع السابق ص 6

<sup>9</sup> - المرجع السابق ص 7

الأخرى. ومن المعلوم أن المعارف البلاغية تتميز في مصادرها الأصلية بالتجريد والتعقيد والتشعب، وهذا ما يطرح إشكال النقل الديدانكتيكي. وتتسم هذه الدروس بالتنوع بين الأساليب البيانية والبديعة وأساليب علم المعاني . وإذا كانت الدروس البلاغية في الجذع المشترك العلمي لم تتجاوز أربعة دروس جاءت جميعا في المجزوءة الأولى، فإنها في جذع الآداب قد بلغت ثلاثة عشر درسا كما يتضح من الكتاب المدرسي المعتمد بهذا المستوى<sup>10</sup>.

وفيما يلي توضيح لتلك الدروس في الشعبتين:

- الدروس البلاغية المقررة في جذع العلوم:<sup>11</sup>
  - الخبر والإنشاء
  - الخبر: أغراضه وخروجه عن مقتضى الظاهر
  - التشبيه: أركانه وأنواعه
  - الحقيقة والمجاز

بينما هيمنت الدروس الصرفية والنحوية في هذا الجذع، وهي دروس سبق للمتعلمين دراستها في المرحلة الإعدادية. فإنها في جذع الآداب قد بلغت ثلاثة عشر درسا كما يتضح من الكتاب المدرسي المعتمد بهذا المستوى<sup>12</sup>.

#### - الدروس اللغوية في برنامج الجذع الأدبي:

الدورة الأولى	المجزوءة الأولى : الحكي	المجزوءة الثانية : الحجاج
	<ul style="list-style-type: none"> <li>➤ بلاغة الامتاع</li> <li>➤ بلاغة الإقناع</li> <li>➤ الخبر والإنشاء</li> <li>➤ أغراض الخبر</li> <li>➤ خروج الخبر عن مقتضى الظاهر</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>➤ التشبيه: تعريفه وأركانه</li> <li>➤ التشبيه: أقسامه</li> <li>➤ الحقيقة والمجاز</li> <li>➤ الاستعارة: تعريفها وأركانها.</li> </ul>
الدورة الثانية	المجزوءة الأولى : الشعر العمودي	المجزوءة الثانية : الشعر التفعيلي
	<ul style="list-style-type: none"> <li>➤ الجناس</li> <li>➤ السجع</li> <li>➤ الاقتباس</li> <li>➤ الطباق والمقابلة</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>➤ الكتابة العروضية</li> <li>➤ الزحافات والعلل</li> <li>➤ بحر الطويل</li> <li>➤ بحر البسيط.</li> </ul>

<sup>10</sup> - المنير في اللغة العربية، جذع التعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الانسانية، سلك التعليم الثانوي التأهيلي، الشركة المغربية لفنون الطباعة العصرية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006

<sup>11</sup> - مرشدي في اللغة العربية، جذع العلوم وجذع التكنولوجيا، إفريقيا الشرق الطبعة الأولى، 2006/2005.

<sup>12</sup> - المنير في اللغة العربية، جذع التعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الانسانية، سلك التعليم الثانوي التأهيلي.

وهي الدروس نفسها التي أشار إليها المنهاج.<sup>13</sup> وأما في السنة الأولى فبلغت أربعة عشر درسا في الشعبة الأدبية، في مقابل ستة دروس في الشعبة العلمية. وفي السنة الختامية من الشعبة الأدبية، نجد حضورا بارزا لدروس علم البيان في المجزوعتين الأولى والثانية.

وتحليل المعارف المرتبطة بالدرس البلاغي في كل المستويات على علوم البلاغة العربية القديمة المعروفة<sup>14</sup>: علم البيان، علم المعاني، علم البديع. وقد تم إدراج بعض الدروس الجديدة في مقرر السنة الثانية من شعبة الآداب والعلوم الانسانية. وتعد دروس الخبر والإنشاء ودروس التشبيه والاستعارة أكثر الدروس حضورا في الكتب المدرسية بمختلف الشعب والمستويات. لذلك سأحاول مقارنة ما يطرحه نقل المعارف المرتبطة بهذه الدروس من إشكالات.

## 2-2-1- المعارف المرتبطة بالخبر والإنشاء في المصادر البلاغية:

من المعلوم أن دروس الخبر والإنشاء تحيل على معارف عميقة لها جذور اعتقادية وكلامية تأثر بها البلاغيون الأوائل<sup>15</sup>. فالكلام عن مفهوم الخبر والإنشاء قد نشأ مع نشأة الجدل في عصر المأمون حول فتنة القول بخلق القرآن. "وقد بنى المعتزلة قولهم بخلق القرآن على أساس أن ما تضمنه لا يخرج عن واحد من ثلاثة: أمر ونهي وخبر، وذلك مما ينفي عنه صفة القدم.

ومن هنا جاء تحديد المعتزلة لمفهوم الخبر من حيث صدقه وكذبه، ومن رجال الاعتزال الذين أبدوا رأيهم في ذلك غيراهيم بن يسار النظام البصري وتلميذه الجاحظ.<sup>16</sup>

ولذلك فقد اختلف البلاغيون في مفهوم الخبر حسب مذاهبهم الكلامية اختلافا وصل إلى حد التعارض أحيانا، فالنظام مثلا يذهب إلى أن صدق الخبر أو كذبه هو في مطابقته لاعتقاد المخبر أو عدم مطابقته. فالخبر عنده يكون صادقا بشرط مطابقته لاعتقاد المخبر حتى ولو كان ذلك الاعتقاد خطأ في الواقع، وكذلك يكون عنده الخبر كاذبا بشرط عدم مطابقته لاعتقاد المخبر، حتى ولو كان ذلك الاعتقاد صوابا في الواقع<sup>17</sup>. ثم جاء الجاحظ بعد أستاذه "النظام" ولم يقف بالخبر عند حد الصدق والكذب. فهو ينكر انحصار الخبر في الصدق والكذب، ويزعم أن الخبر ثلاثة أقسام: صادق، وكاذب، وغير صادق ولا كاذب.

فالخبر الصادق، في رأي الجاحظ، هو المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق. والخبر الكاذب عنده هو الذي لا يطابق الواقع، مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.

أما الخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب فليس نوعا واحدا، وإنما هو أربعة أنواع<sup>18</sup>.

<sup>13</sup> - التوجيهات التربوية ص 22

<sup>14</sup> - فيعد أن وضع عبد القاهر الجرجاني كتاب "أسرار البلاغة في علم البيان، ثم كتاب "دلائل الإعجاز" في علم المعاني، ألحق السكاكي في مفتاحه بهذين العلمين ما سماه "محسنات بديعية"، وقصد به أساليب علم البديع، هذا العلم الذي كان عبد الله بن المعتز قد صنف فيه كتابه المعروف بـ "البديع". لذلك فإن البلاغيين المتأخرين ابتداء من الخطيب القزويني في كتابه "الإيضاح"، أصبحت عندهم علوم البلاغة ثلاثة علوم: البيان، المعاني والبديع.

ويعد علم المعاني أكثر هذه العلوم حضورا في البرنامج الدراسي، وقد عرفه السكاكي بقوله: " إنه تتبع خواص تراكيب الكلم في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره. " ينظر مفتاح العلوم: 248

<sup>15</sup> - ينظر على سبيل المثال : البيان والتبيين للجاحظ وكتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب، وينظر مرجع علم المعاني - البيان - البديع لعبد العزيز عتيق ص 39-40 .

<sup>16</sup> - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، البيان - البديع ص 39.

<sup>17</sup> - المرجع السابق 39.

<sup>18</sup> - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، ص 40 (بتصرف).

الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.  
 الخبر المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.  
 الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق.  
 الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.

وتعد قضية الصدق والكذب من أبرز قضايا البحث البلاغي والنقدي العربي القديم، ومن مظاهر التأثير الفلسفي والمنطقي والكلامي على هؤلاء البلاغيين. فمعظم البلاغيين والنقاد العرب القدامى جعلوا هذه القضية من مباحثهم، كالجاحظ وأبي هلال العسكري وابن قتيبة وعبد القاهر الجرجاني وابن وهب. ولهذه القضية جذور فلسفية وكلامية وشرعية لذلك كانت من المؤثرات التي عمقت الجدل في الدرس البلاغي. يقول ابن وهب: "وليس في فنون القول ما يقع به الصدق والكذب غير الخبر والجواب، إلا أن الصدق والكذب يستعملان في الخبر، ويستعمل مكانهما في الجواب الخطأ والصواب، والمعنى واحد وإن فرق في اللفظ بينهما، وكذلك يستعمل في الاعتقاد في موضع الصدق والكذب الحق والباطل والمعنى قريب من قريب. والخبر منه جزم ومنه، ومنه مستثنى، ومنه ذو شرط، فالجزم مثل: زيد قائم، فقد جازمت في خبرك على قيامه، والمستثنى: قام قوم إلا زيدا، فقد استثنيت زيدا ممن قام..."<sup>19</sup>.

فنص ابن وهب يبين علاقة الصدق والكذب بفنون القول، وأنها إنما تكون في الخبر والجواب، وقد نستعمل بدلها الصواب والخطأ في الجواب، والمعنى واحد. وفي مجال الاعتقاد نستعمل الحق والباطل. ثم نجد ابن وهب بعد ذلك قد انصرف إلى أقسام الخبر وأشكاله، وتوضيح لكل قسم، مما لو استغل في النقل الديدانتيكي لدرس الخبر لأثمر تعلمات مفيدة في ما يتعلق بأشكال الخبر، وهو ما لم يحصل في ما تم نقله من هذه المصادر، كما سأبين فيما يأتي.

وقد وقف البلاغيون عند مفهوم الخبر والإنشاء وعند أشكالهما وأنواعهما وأغراضهما الأصلية والفرعية. فالخبر عند البلاغيين قد يأتي مثبتاً أو منفيًا، كما قد يأتي ابتدائياً أو طلبياً أو إنكارياً، حسب من يلقي إليه الخبر. وقد يتم كما قال البلاغيون، لأغراض بلاغية، مخاطبة المنكر للخبر مخاطبة المتردد أو الجاهل للخبر، كما قد ينزل المخاطب الجاهل للخبر منزلة المنكر أو المتردد الشاك.

والأصل في الخبر عند البلاغيين أن يلقى لأحد غرضين:

إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك الحكم: فائدة الخبر.

إفادة المخاطب أن المنكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك: لازم الفائدة.

تلك هي الأغراض الأصلية للخبر عند البلاغيين، لكن الخبر عندهم قد يفيد بمعونة قرائن الأحوال أغراضاً مقامية أخرى كالتعجب وإظهار الضعف والمدح والقسم والدعاء والتعظيم والاستعطاف وغيرها.<sup>20</sup>

<sup>19</sup> - البرهان في وجوه البيان : 94.

<sup>20</sup> - ينظر على سبيل المثال الصباحي في فقه اللغة لابن فارس الصفحة 134 وما بعدها، وابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان الصفحة 92 وما بعدها. فرغم أن هذين العلمين من أعلام اللغة والبلاغة ضمنا كلامهما عن الخبر والإنشاء حديثاً عن قضية الصدق والكذب وخاضا في ذلك خوفاً امتد إلى الاعتقاد والشرع والواقع، إلا أننا نجد عندهما تعريفات وتقسيمات ملائمة يمكن الاستئارة بها في النقل الديدانتيكي.

واستمر البحث في الخبر والإنشاء وفي دلالاتهما عند فلاسفة اللغة وعند اللسانيين المحدثين، بمصطلحات أخرى أحيانا كأفعال الكلام، والقوة الانجازية الحرفية والقوة الانجازية المستلزمة.<sup>21</sup> مما يبين أن المعرفة العالمية المتعلقة بمبحث الخبر والإنشاء هي معرفة غزيرة متشعبة ومعقدة ولها جذور فلسفية وكلامية وشرعية. فهل استطاع منهاج اللغة العربية نقل دروس الخبر والإنشاء نقلا ملائما للمتعلم؟ وبعبارة أخرى هل تخلص الناقل الديدككتيكي في هذا المنهاج من المؤثرات الفلسفية والكلامية المصاحبة للخبر والإنشاء في المصادر البلاغية؟ وكيف تم التعامل مع المعارف المرتبطة بهذه الدروس في الكتاب المدرسي؟

## 2-2-2- النقل الديدككتيكي لدروس الخبر والإنشاء في الكتاب المدرسي<sup>22</sup>:

بالعودة إلى الكتاب المدرسي في جذع الآداب، نجد أن دروس الخبر تم نقلها بطريقة غير ملائمة، ولم تراخ مبدأ التدرج، ولا مبدأ الربط بين الدروس، إذ لم يتم الاهتمام بالتمهيد لها.<sup>23</sup> فقد كان ينبغي أن يتضمن الكتاب المدرسي تمهيدا مناسباً حول علوم البلاغة وموقع علم المعاني ضمن هذه العلوم، ثم أهمية دروس الخبر والإنشاء مثلا في بلاغة الإقناع والامتناع، فضلا عن ضرورة التنبيه إلى قيمة هذه الأساليب التعبيرية والتواصلية. وذلك ما نجده عندما نعود إلى المعرفة العالمية حول الخبر. فالباحث في كتب البلاغة العربية القديمة يستمتع بتفصيلهم في بلاغة هذه الأساليب وفي أبعادها ووظائفها الحجاجية والنصية والتخييلية. يقول عبد العزيز عتيق: "فمباحث علم المعاني من شأنها أن تبين لنا وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، كما تُرِينَا أن القول لا يكون بليغا كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي أُلقي عليه."<sup>24</sup> فكيف تم نقل درس الخبر في الكتاب المدرسي؟

لقد تم عرض درس الخبر في الكتاب المدرسي بأمثلة جزئية فصلت عن سياقها. وكان من الأفضل الانطلاق من نص يتضمن أساليب متنوعة بين الخبر والإنشاء كما حصل في مقرر الجذع العلمي<sup>25</sup> مثلا. كما أن الأمثلة جاءت كلها مثبتة، مما قد يوهم المتعلم أن الخبر دائما مثبت. وحتى الاستنتاج اكتفى بتعريف الخبر، ولم يشر إلى تعدد أشكاله حسب الأدوات التي تدخل على الجملة الخبرية فتصرفها مثلا إلى النفي أو التأكيد أو غير ذلك مما هو في دائرة الخبر. بل إن هذا التعريف مرتبط بالتعريفات الأولى للبلاغيين المتأثرين بالمذاهب الكلامية كالنظام والجاحظ.

فقد عُرّف الخبر في كتاب المنير في اللغة العربية كما يلي: «الخبر كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، ويكون صادقا إذا طابق الواقع، ويكون كاذبا إذا لم يطابق الواقع»<sup>26</sup>. وتمت الإشارة، في الهامش، إلى أن لفظة «بذاته» في التعريف يقصد بها إخراج كلام الله تعالى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل المسلمات التي لا يصح فيها التكذيب باعتبار قائلها على الرغم من انتمائها لأسلوب الخبر.<sup>27</sup>

21 - ينظر على سبيل المثال دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي لأحمد المتوكّل (1986).

22 - أقصد الكتاب المدرسي بالثانوي التأهيلي ككتاب "المنير في اللغة العربية" الخاص بالجذع المشترك آداب وتعليم أصيل.

23 - ينظر مثلا كتاب المنير في اللغة العربية 249.

24 - علم المعاني - البيان - البديع لعبد العزيز عتيق ص 33.

25 - ينظر المنير في اللغة العربية ص 248 و مرشدي في اللغة العربية ص 30.

26 - المرجع السابق ص 249

27 - المرجع السابق 248

وعرف الإنشاء في الكتاب المدرسي كذلك كما يلي: «الإشياء كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنه ليس لمداول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه»<sup>28</sup> وأعتقد أنه كان من الأولى والأنسب للنقل الديدانكتيكي، في هذا المستوى التعليمي، الاستفادة من تعريفات أخرى أقرب إلى المتعلم. وفي كتب البلاغة العربية القديمة تعريفات يمكن الانطلاق منها لبناء تعريف يسهم المتعلم في إنجازه.

ومن التعريفات المناسبة للنقل الديدانكتيكي التعريف اللغوي لكل من ابن فارس وابن وهب، يقول ابن فارس: "أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام. تقول: أخبرته أخبره، والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه. وهو إفادة المخاطب أمراً في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم، نحو "قام زيد" و "يقوم زيد" و "قائم زيد"<sup>29</sup>. وقال ابن وهب: "والخبر كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه."<sup>30</sup>

فلو تمت الاستفادة من هذين التعريفين، لكان النقل الديدانكتيكي ملائماً لمستوى المتعلمين. فالخبر إفادة المخاطب أو إعلامه بأمر ما. وقد يكون المخاطب جاهلاً لهذا الأمر أو عالماً به. كما قد يكون هذا الخبر صحيحاً أو خاطئاً. ثم إننا نجد عند ابن وهب<sup>31</sup> توضيحاً لأقسام الخبر وأشكاله، مما لو استغل في النقل الديدانكتيكي لدرس الخبر لأثمر تعلمات مفيدة في هذا الجانب.

وما قيل عن تعريف الخبر يقال عن أغراضه، فقد جاء الدرس المتعلق بذلك وفق ما هو معتاد في كتب البلاغة العربية القديمة من تركيز على الغرضين الأصليين، "فائدة الخبر ولازم الفائدة"، كما يتضح من الخلاصة التي قدمت للمتعم: "الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

– إفادة المخاطب الحكم الذي تتضمنه الجملة، ويسمى ذلك الحكم فائدة الخبر.  
– إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة. وللخبر أغراض أخرى تفهم من سياق الكلام منها: الاسترحام، إظهار الضعف، إظهار التحسر، الفخر"<sup>32</sup>.

بينما جاء الحديث عن الأغراض المقامية متمسماً بالاختزال سواء في الجذع العلمي أو الأدبي<sup>33</sup>. لأن الناقل اعتمد في ذلك على ما ورد عند السكاكي في المفتاح، ولو رجع إلى مصادر أخرى لوجد ما يغنيه في هذا الجانب.<sup>34</sup>

ولم يتم التفصيل في تلك الأغراض إلا في السنة الثانية من الشعبة الأدبية بعنوان جديد مستفاد من فلسفة اللغة ومن التداوليات الحديثة، دون إشارة إلى ذلك. فقد جاء الدرس بعنوان "أفعال الكلام" في درسين سيتم حذفهما لاحقاً

28 - المنير في اللغة العربية 249

29 - كتاب الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس ، (منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1997/1418: 133 الصفحة. وفي الصفحة الموالية حديث عن المعاني التي يحتملها الخبر، وأشكال الخبر. تنظر الصفحة 134.

30 - البرهان في وجوه البيان ص 94. وينظر كذلك معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة، دار ابن حزم بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة 1997/1418م ص 191.

31 - البرهان في وجوه البيان، لابن وهب، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، 1969 ص 92 وما بعدها.

32 - المنير في اللغة العربية ص 251.

33 - ينظر المنير في اللغة العربية ص 251 و مرشدي في اللغة العربية ص 42

34 - وقد بينت هذا في كتاب اللغة والدلالة، تأليف د. لخلاقة كريم، مطبعة Net impression، الطبعة الأولى 2012 ورزازات ص 85 وما بعدها.

من المقرر تدريسه. والحقيقة أن هذا الدرس والذي يليه ليعد من الدروس المهمة التي جاءت في سياق تعلمي مناسب، لأنه جاء بعد نص مسرحي لتوفيق الحكيم، وهو نص غني بالأساليب والدلالات. ويعد هذا النص نص انطلاق مناسب لتدريس الأساليب الخبرية والإنشائية، ولأغراضها الأصلية والفرعية، مما يجعل المتعلم قادراً على التمييز بين الأساليب، والتعرف على دلالاتها، وعلى وظائفها الحجاجية والدلالية والبلاغية. ولذلك فحذف هذين الدرسين أدخل بشروط النقل الديداكتيكي، ويوحدة الدروس وتكاملها، وأخل بالجانب المهاري للمتعلم، لأن هذه الأساليب إنما تظهر قيمتها الوظيفية عندما تأتي في نص أدبي غني بها.

## 2-2-2- النقل الديداكتيكي لدروس التشبيه والاستعارة:

### 2-2-2-1 - تشعب المعرفة العالمية المرتبطة بالتشبيه والاستعارة:

عندما نعود إلى المعرفة الأصلية المرتبطة بالتشبيه عند البلاغيين والنقاد العرب القدامى نجدها قد اهتمت بمكانة التشبيه وأفضليته عن الأساليب البيانية الأخرى، كما أفاضت في بيان طبيعته وأغراضه وأنواعه. فالتشبيه أشرف الكلام ومظهر الفطنة والبراعة عند أبي هلال العسكري<sup>35</sup>، وهو "أصعب أنواع الشعر، وأبعدها متعاطى". عند ابن رشيق<sup>36</sup>.

وقد استمرت هذه النظرة التفضيلية للتشبيه عند معظم البلاغيين والنقاد المتأخرين. فالتشبيه عند ابن الأثير "يجمع صفات ثلاثة هي: المبالغة، والبيان، والإيجاز،...إلا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب، وهو مقتل من مقاتل البلاغة"<sup>37</sup>.

ولا يحظى كل تشبيه بالأفضلية عند هؤلاء البلاغيين والنقاد، بل لا بد ليكون كذلك من مراعاة شروطهم التي بينوها في سياق حديثهم عن طبيعة التشبيه ووظيفته. فهم يجعلون سر بلاغة التشبيه يكمن في ما يحققه للكلام من بيان ووضوح. ولعل ذلك يرجع إلى محافظته على الحدود المتميزة بين الأشياء، كما يتضح من حرص معظمهم على التناسب المنطقي بين أطراف الصورة القائمة على المشابهة، سواء كانت تشبيهاً أو استعارة. وهذا ما يدل عليه اشتراطهم المقاربة في التشبيه ومناسبة المستعار منه للمستعار له. ويلخص المرزوقي ذلك الموقف في مقدمته النقدية قائلاً: "وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس، وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه الشبه بلا كلفة، إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له، لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس. وقد قيل: "أقسام الشعر ثلاثة: مثل سائر، وتشبيه نادر، واستعارة قريبة"<sup>38</sup>.

هذا فيما يتعلق بطبيعة التشبيه عند هؤلاء البلاغيين والنقاد. أما وظيفته عندهم فإنما هي كما يقول ابن رشيق: "تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له"<sup>39</sup>. ولذلك فسبيل التشبيه لتحقيق هذه الفائدة "أن تشبه الأدون

<sup>35</sup> - كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1406هـ، 1986م ص: 243

<sup>36</sup> - العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط/1408، 1988م ص: 967-968.

<sup>37</sup> - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين بن الأثير، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1411هـ، 1990م، 378/1

<sup>38</sup> - شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط/1411هـ، 1991م، الجزء 1 ص 10.

<sup>39</sup> - العمدة لابن رشيق 494/1.

بالأعلى إذا أردت مدحه، وتشبه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه...<sup>40</sup>. وهذا ما أكده أبو هلال العسكري لما جعل وظيفة التشبيه "أن يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً".<sup>41</sup>

لقد كان التشبيه أوفر حظاً عند البلاغيين والنقاد العرب القدامى لما يكسبه للكلام من وضوح وبيان. أما الاستعارة فقد اشترطوا فيها مناسبة المستعار منه المستعار له، كما قال الأمدى<sup>42</sup> والقاضي الجرجاني الذي بين أن ملاك الاستعارة "تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر".<sup>43</sup>

وهذه النظرة إلى الاستعارة استمرت عند بعض البلاغيين والنقاد في القرن الخامس، كابن رشيق، وابن سنان، والباقلاني والمرزوقي والشريف الراضي. أما عبد القاهر الجرجاني فيشكل الاستثناء، إذ عدَّ الاستعارة أعلى مقاما من التشبيه، فهي من ناحية أكثر تحقيقاً للدعاء وأكثر قدرة على إثبات المعنى المطلوب، وهي من ناحية أخرى أكثر اختصاراً وإجازاً من التشبيه.<sup>44</sup>

كيف تم نقل هذه المعارف النظرية والمتشعبة في الكتاب المدرسي؟ وأي دور للمدرس في نقل المعارف المتعلقة بالتشبيه والاستعارة ملاءمتها؟

## 2-2-2-2 - النقل الديدانكتيكي للمعرفة المرتبطة بالتشبيه والاستعارة:

لقد عمل النقل الديدانكتيكي في الكتاب المدرسي على تبسيط هذه المعارف وتحريها من الجدل الذي طبع عرضها في مصادرها ومراجعها، ومن الاختلاف بين العلماء في تعريفها، وتم عرضها بشكل يلائم قدرات المتعلم النفسية والإدراكية. فلم يتم تفضيل التشبيه على الاستعارة، ولم يتم الخوض في شروطها في الدروس اللغوية المقررة في الجذع الأدبي ولا العلمي مراعاة لمبدأي التدرج والملاءمة. وفي السنة الأولى تمت العودة إلى التشبيه ونوعيه الضمني والتمثيلي، وإلى الاستعارة التصريحية والممكنة والأصلية والتبعية، والمرشحة والمجردة.

أما في السنة الختامية من مسلك الآداب والعلوم الانسانية، فقد تمت العودة مجدداً إلى دروس علم البيان تحت عنوان جديد هو: " الصورة الشعرية" في أربعة دروس: درسان حول المكونات، ودرسان حول الوظيفة. وتم الانتقال من التعريف والتقسيم إلى الوظيفة والخصائص. وقد تمت مراعاة التدرج في تقديم هذه الدروس، والانتقال من البسيط إلى المركب.

غير أن الخوض في التقسيمات البلاغية زاد من تعقيد الدرس البلاغي المقرر في السنة الأولى من الشعبة الأدبية كما يتضح من درسي: الاستعارة الأصلية والتبعية، والاستعارة المرشحة والمجردة.

كما أن منهجية بناء دروس اللغة في الكتاب المدرسي لا تبني المعرفة بل تقدمها جاهزة للمتعلم، باستعمال عبارة: "إذا تأملت المثال كذا ستجد"، وبعد هذه العبارة يقدم التحليل جاهزاً.<sup>45</sup>

40 - العمدة لابن رشيق 494/1

41 - كتاب الصنائع ص: 243

42 - الموازنة بين أبي تمام والبحتري للحسن بن بشر الأمدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية بيروت، ص: 234.

43 - الوساطة بين المتنبي وخصومه ص: 41.

44 - أسرار البلاغة في علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق للدكتور محمد الاسكندراني ومحمد مسعود، دار الكتاب العربي، ط2/1418هـ، 1998م، ص: 41.

45 - ينظر مثلاً: الممتاز في اللغة العربية الصفحات: 57-58-67، والمنير في اللغة العربية الصفحات: 276 - 278 - 280.

وكان ينبغي اعتماد أسئلة وأنشطة تعليمية - تعليمية مناسبة تتيح للمتعلم المشاركة في بناء المعارف، كما تدريبه على التحليل والتوظيف والاستثمار. وهذا لا يتحقق إلا باستحضار الدرس البلاغي في المكونات الأخرى، أي في درسي النصوص والتعبير والإنشاء. فإلى أي حد تحقق هذا الأمر في الكتاب المدرسي؟.

### 3 - امتدادات الدرس البلاغي في القراءة المنهجية للنصوص:

تضمنت القراءة المنهجية للنص الشعري أنشطة تعليمية حول الصورة الشعرية ووظيفتها، وكذا حول الأساليب الخبرية والإنشائية وأبعادها الدلالية في النص القرائي. وهي أنشطة تفرض على المدرس مجهوداً إضافياً قصد تمهير المتعلمين على تحليل الأسلوب والصورة وبيان مكونات كل منهما وخصائصه ووظائفه التعبيرية والحجاجية والجمالية في النص وكذا أبعاده الدلالية والتداولية.

فدرس النصوص بدءاً من الجذع المشترك الأدبي عرف بعض الإشارات إلى وظيفة التشبيه والاستعارة<sup>46</sup> في النصوص المتعلقة بمجزوءة الشعر العمودي، كما تم توظيف الخبر والإنشاء في النص القرائي السردى والشعري. واستمر ذلك في الكتاب المدرسي للسنة الأولى الأدبية في المجزوءة الأولى والثانية. وتمت معالجة خصائص التشبيه والاستعارة ضمن نصوص مجزوءة " قضايا نقدية وأدبية"<sup>47</sup>. واستمر هذا الاستثمار في درس النصوص في الكتاب المدرسي بالسنة الثانية آداب وعلوم إنسانية. إلا أن انتاجات المتعلمين في الأنشطة التطبيقية وفي التعبير والإنشاء والفروض المحروسة تكشف عن خلل في التوظيف والاستثمار.

### 4 - ثغرات النقل الديدانكتيكي لدرس البلاغة في الكتاب المدرسي:

لم يسلم النقل الديدانكتيكي للمعرفة البلاغية في الكتاب المدرسي من الوقوع في بعض الهفوات والثغرات لعل أهمها:

- ✓ غياب المعارف التمهيديّة والمعارف الرابطة بين الدروس المكتسبة في المرحلة الإعدادية والدروس المراد اكتسابها في المرحلة التأهيلية.
- ✓ هيمنة المعارف العالمية على المعارف المتعلمة، خصوصاً في مباحث الخبر والإنشاء.
- ✓ تجزئ هذه الدروس بشكل لم يحافظ على وحدتها ونسقيتها كما وردت في أصولها المعرفية. فقد تم توزيع الدروس المتعلقة بالخبر والإنشاء ودروس علم البيان عبر المجزوءات في كل المستويات دون مراعاة لتربطها.
- ✓ الخوض في التقسيمات البلاغية خاصة أثناء نقل المعرفة المرتبطة بالاستعارة.
- ✓ تكرار بعض الدروس بعناوين مغايرة، كما حصل في السنة الثانية من الشعبة الأدبية عندما أعيد درسا "خروج الخبر عن مقتضى الظاهر" وكذا دروس "الإنشاء الطلبي وخروجها عن مقتضى الظاهر" تحت عنوان جديد غريب عن المتعلمين هو: "أفعال الكلام" وذلك في درسين<sup>48</sup>. والأمر ذاته حصل مع دروس علم البيان التي أعيدت في السنة الثانية أيضاً تحت عنوان جديد هو: "الصورة الشعرية"، في أربعة دروس: درسان حول المكونات، ودرسان حول الوظيفة، والجديد هو الوظيفة.

<sup>46</sup> - المنبر في اللغة العربية ابتداء من الصفحة 117.

<sup>47</sup> - ينظر الممتاز في اللغة العربية، السنة الأولى من سلك البكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الإنسانية ص 200

<sup>48</sup> - كتاب واحة اللغة العربية، السنة الثانية من سلك البكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الإنسانية الصفحة 189 والصفحة 200.

✓ عدم ملاءمة الدروس اللغوية للمجزوءة على مستوى توزيع الدروس حسب المجزوءات. إذ يبدو أن الدروس اللغوية مستقلة عن النصوص خاصة في الجذع الأدبي والعلمي، وهذا مخالف للتوجيهات التربوية التي تنص على أن يكون الدرس اللغوي على صلة بدرس النصوص، وأن يستثمر في تحليله.

فقد كان من الأولى مثلا تأخير درس بلاغة الإقناع إلى مجزوءة الحجاج، لأن الانطلاق من نص حجاجي سيكون معينا على فهم هذا الدرس، وإدراك وظيفته، وسيمكن من استثماره في تحليل هذا النوع من النصوص. كما أن البدء ببلاغة الإمتاع لم يراع مستوى التلاميذ، الذين كانوا في حاجة إلى التعرف أولا على بعض الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة، لأن ذلك سيسير مهمة المدرس في نقل المعرفة المتعلقة ببلاغة الإمتاع.

وقد كان من الأفضل إدراج الدروس العروضية ضمن مجزوءة الشعر العمودي، لأنها تتيح الفرصة للمتعلمين للتعرف على الخصائص العروضية لهذا الشعر بشكل أعمق. بينما تؤول الدروس البديعية إلى المجزوءة الأخيرة.

وعموما فإن طريقة توزيع الدروس اللغوية في كتاب اللغة العربية للجذع المشترك (آداب) على وجه الخصوص، لم تحترم الملاءمة ولا التدرج في النقل الديدانكتيكي للمعرفة اللغوية، ولم تتطرق من وضعيات انطلاق مناسبة.

مما يفرض تدخل المدرس للمزيد من الملاءمة، وتدارك الثغرات وإضافة التمهيديات الضرورية قصد وضع كل درس في سياقه، وربطه بالدروس الأخرى.

##### 5 - دور المدرس في الحد من ثغرات النقل الديدانكتيكي:

إن ما أسلفت الحديث عنه من ملاحظات حول النقل الديدانكتيكي للدرس البلاغي، يزيد من مسؤولية المدرس في معالجة الثغرات. وذلك لا يتم إلا بالتخطيط لعبور المعرفة من مجال التخصص إلى مجال التعلم. أي التخطيط لنقل المعرفة اللغوية من فضائها العلمي الخالص إلى فضاء الممارسة التربوية لتتناسب خصوصيات المتعلمين النفسية وتستجيب لحاجياتهم. وذلك عن طريق تكييفها وفق الوضعيات التعليمية - التعلمية.

فدرس بلاغة الإمتاع مثلا يفرض على المدرس في الجذع الأدبي أن يقوم بعدة أنشطة تعليمية تعليمية ليجعل ما يتضمنه من معارف في مستوى إدراك المتعلمين، حديثي العهد بمثل هذه المفاهيم. فالتعلمون في هذه المرحلة لم يتعودوا بعد على مفاهيم مثل الانزياح أو الخرق أو اللغة الشعرية. لأن الدرس اللغوي في المرحلة الإعدادية هو عبارة عن معارف نحوية أو صرفية في الغالب. لذلك فتمثيلات المتعلمين حول هذا الدرس ستكون بسيطة جدا.

لكن المدرس بإمكانه أن يبسر لهم تعلم هذا الدرس إن أحسن اختيار نص انطلاق مناسب، ولم يقتصر على الأمثلة المقترحة في الكتاب المدرسي فقط، ولا على نصوص المجزوءة لأنها نصوص سردية وصفية في الغالب.

لذلك فالنقل الديدانكتيكي للمعرفة المتعلقة بدرس بلاغة الإمتاع يفرض على المدرس العمل وفق الخطة الموالية:

- تمهيد حول البلاغة ودورها في الإبداع وفي التعرف على خصائص النص الأدبي وعناصره الجمالية، وينبغي أن يتم التعرف على تمثيلات المتعلمين حول بلاغة الإمتاع.
- الانطلاق من نص شعري أو نثري إبداعي.
- قراءة المدرس لهذا النص قراءة نموذجية، ثم قراءات للمتعلمين تتناسب نوع النص المقروء مع تصحيح القراءات والتنبيه إلى الإيقاع وغيره، والتأكيد على جمال القراءة وشاعريتها.
- وبعد القراءة ينتقل إلى أنشطة الفهم، قصد الكشف عن مضامين النص وقيمه التربوية والجمالية.

- صياغة تلك المضامين على اللوح بلغة تقريرية، أو الاتيان بنص آخر، في المضمون نفسه، تغيب فيه بلاغة الامتاع،
- مقارنة المتعلمين بين النصين وتحديد الفرق بينهما.
- تسجيل نتائج المقارنة التي ينبغي أن تبنى بمشاركة المتعلمين وتتوصل إلى إدراك الفرق بين اللغة التقريرية واللغة الشعرية، وإلى الفرق بين إيقاع الشعر وغياب الإيقاع في النثر.
- حينئذ يستثمر الأستاذ نتائج المقارنة ليخلص، بمشاركة المتعلمين، إلى تعريف بلاغة الامتاع، وكيف تتحقق عن طريق الانزياح الدلالي أو التركيبي أو الأسلوبي أو التناظر والتوازي الإيقاعي.
- تطبيق : يقدم فيه المدرس أمثلة أخرى ويطلب من المتعلمين الكشف عن بلاغة الامتاع فيها. وعندما يتأكد من فهم المتعلمين لبلاغة الامتاع يطلب منهم إبداع جمل و فقرات قصيرة تتضمن بلاغة الامتاع.
- الاستثمار : لا ينبغي أن يعتقد المدرس أن الدرس قد انتهى في هذه الحصة، بل يحرص على استثماره في النصوص الشعرية العمودية والحديثة المقررة بالمجزوءة الأولى والثانية في الدورة الثانية، وفي الأنشطة الموازية. فالتعلم " لا يكتسب في سياق مدرسي قيمته إلا إذا ما سمح للمتعلمين بمغادرة المدرسة وهم مزودون بكفايات ومعارف جديدة."<sup>49</sup>

#### خاتمة:

حاصل ما سبق أن النقل الديدانكتيكي لدرس البلاغة في الكتب المدرسية للتعليم الثانوي التأهيلي يحتاج إلى تضافر جهود كل الأطراف المتدخلة في هذا النقل قصد تجاوز الثغرات التي تم تسجيلها وليكون ملائماً للفئة المستهدفة.

ويعد المدرس أهم ناقل ديدانكتيكي للمعرفة البلاغية، لذلك فإنه يتحمل مسؤولية كبيرة في نجاح النقل الديدانكتيكي للمعرفة في رحلتها نحو المتعلم. ولا يمكنه ذلك إلا إذا تملك المعرفة اللغوية والبلاغية، وجعلها قابلة للتدريس والتعلم بعد تخطيط محكم، يصاحبه الحرص على تتبع أنشطة استثمار المتعلمين لتلك المعارف في وضعيات مختلفة والعناية بتقويمها ودعمها.

فنجاعة النقل الديدانكتيكي للدرس البلاغي لا تظهر إلا من خلال منتوج المتعلمين في أنشطة التعلم المختلفة، سواء في فروض المراقبة أو الامتحانات الإشهادية، أو في الأنشطة الإبداعية وغيرها من أنشطة الحياة المدرسية. فهذه الأنشطة هي التي تبرز إلى أي حد يستطيع المتعلم استثمار وتوظيف المعرفة البلاغية المنقولة في وضعيات جديدة وفي سياقات مختلفة.

<sup>49</sup> - التكوين الديدانكتيكي للمدرسين ص 266 - 267.

## المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة في علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق للدكتور محمد الاسكندراني ومحمد مسعود، دار الكتاب العربي، ط 1418/2 هـ، 1998م.
- البرهان في وجوه البيان، لابن وهب، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، 1969.
- التكوين الديدائكتيكي للمدرسين- التدريس بالكفايات من خلال خلق شروط التعلم - تأليف: فليب جوناير وسيسيل فاندر بورخت، ترجمة أ. عبد الكريم غريب ود. عز الدين الخطابي، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. الطبعة الأولى 2011.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، نونبر 2007.
- الرائد في اللغة العربية، السنة الثانية من سلك البكالوريا، مسالك العلوم والتكنولوجيا، مطبعة دار النشر المغربية، عين السبع - الدار البيضاء، طبعة 2014.
- شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط1411/1هـ، 1991م.
- الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس ، (منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1997/1418
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب للدكتور جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان. والدار البيضاء، المغرب. ط2/1992م.
- علم المعاني - البيان - البديع، عبد العزيز عنتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
- العمدة في محاسن الشعر وأدابه لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق الدكتور محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت، ط1408، 1988/1م.
- الكامل في اللغة العربية، السنة الأولى من سلك البكالوريا مسالك العلوم، مكتبة العلوم - الدار البيضاء، (2006)
- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1406هـ، 1986م.
- اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، للدكتور أحمد المتوكل، منشورات عكاظ، ط/1988م.
- اللغة والدلالة، تأليف د. لخلافة كريم، مطبعة Net impression، الطبعة الأولى 2012 ورزازات.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين بن الأثير، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1411هـ، 1990م.
- مرشدي في اللغة العربية، جذع العلوم وجذع التكنولوجيا، إفريقيا الشرق الطبعة الأولى، 2006/2005.
- معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة، دار ابن حزم بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة 1997/1418م
- معجم علوم التربية : مصطلحات البيداغوجيا والديدائكتيك، تأليف عبد اللطيف الفاربي، عبد العزيز الغضراف، محمد أيت موحا، عبد الكريم غريب، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى (1994).
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1407/2هـ، 1987م.
- الممتاز في اللغة العربية، السنة الأولى من سلك البكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الانسانية، مكتبة الأمة للنشر والتوزيع، طبعة 2011.
- من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015-2030، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.
- المنير في اللغة العربية، جذع التعليم الأصيل وجذع الآداب والعلوم الانسانية، سلك التعليم الثانوي التأهيلي، الشركة المغربية لفنون الطباعة العصرية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2006.
- الموازنة بين أبي تمام والبحثري للحسن بن بشر الأمدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية بيروت (دون رقم ولا تاريخ) .
- واحة اللغة العربية، السنة الثانية من سلك البكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الانسانية، المدارس، البيضاء (2007).
- وزارة التربية الوطنية، الوحدة المركزية لتكوين الأطر، ديدائكتيك مادة اللغة العربية بالتعليم الثانوي التأهيلي (الدرس القرائي)، يونيو 2009.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، (دون رقم ولا تاريخ) .